بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 41 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:09\05\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

كان البحث في الأمر الأول من الأمور الثلاثة التي ترتبت على عمل الأبرار، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾.

في هذه الآية المباركة جمع بين النظرة وبين السرور، السرور محله القلب، والنظرة محلها السمت والشكل والوجه وما شابه ذلك.

الإنسان في بعض الأحيان يكون داخله على شيء، وظاهره على شيء آخر. والسعادة الحقيقية أو الشقاء الحقيقي هو التوافق بين الظاهر والباطن، فلو قلنا عن قوم وجوههم مستبشرة، فهذا لا يكفي لبيان واقع أمرهم، لعلهم لصبرهم ولقوة تحملهم أخفوا ما هو في ظاهرهم.

وفي بعض الأحيان وجوههم باسرة وكالحة، لكن قلوبهم وباطنهم على الفرح والسرور، فجاءت هذه الآية المباركة لتبين أن هؤلاء الأبرار في يوم القيامة ظاهرهم كباطنهم، وجوههم نَظِرَة، عليها دلائل الفرح والسرور، وقلوبهم في الواقع مسرورة. وهذا يؤدي إلى نوع من الرضا بما قسم الله سبحانه وتعالى لهم في يوم القيامة.

فإذًا هذا معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾ الذي هو الثاني، والأمر الأول ﴿فَوَقَاهُمُ﴾.

في القرآن الكريم هذه الكلمة "ن، ض، ر" استعملت باشتقاقاتها في أكثر من مورد، كما في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ﴾[1] وقوبلت هذه الوجوه الناضرة بقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ﴾[2] كالحة عليها أمارات ودلائل الشقاء.

---

[1] القيامة: 22

[2] القيامة: 24

وقوله تبارك وتعالى في سورة المطففين ﴿تَعْرِفُ في وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعيم﴾[3] أي يظهر هذا النعيم على مظهرهم الخارجي.

إذاً واضح أن هذه الكلمة ناظرة إلى ظاهر الإنسان، والسرور ناظر إلى باطن الإنسان، فيحصل التكامل بين الظاهر وبين الباطن.

فإذاً الأمر الأول الذي رتبته الآيات على عمل الأبرار سبحانه وتعالى وقاهم شر ذلك اليوم. والأمر الثاني أنه قابلهم، ووجدوا في الآخرة ما يدعوهم إلى الاستبشار، ويظهر ذلك على وجوههم، وما يسرهم في الباطن. هذا تمام الكلام فيما يرتبط بالآية الحادية عشر.

الآية الثانية عشر: قال تبارك وتعالى: ﴿وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَريراً﴾ وهي ترتبط بالأمر الثالث. إذاً وقاهم، لقاهم، وجزاهم.

الباء في قوله ﴿بِما صَبَرُوا﴾ سببية، أي بسبب صبره، أي كافأهم الله تعالى على ما تحملوه في هذه الدنيا جنة وحريراً. الجنة ترتبط بمكان الاستقرار، والحرير يرتبط باللباس، وهذا سوف يأتي ونعلق عليه إن شاء الله تعالى.

فبسبب صبرهم، وحبس أنفسهم على طاعة الله سبحانه وتعالى، أعطاهم ما يتلاءم مع ذلك. الصبر كما هو معروف من الروايات الكثيرة هو مقام من المقامات السامية، وبعبارة واضحة لا ترتبط باصطلاحات فلسفية أو عرفانية: الصبر هو القدرة على التحمل، التي أمرنا بأكثر من آية أن نجعلها –هذه القدرة على التحمل– وسيلة، وأن نستعين بها ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اسْتَعينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرين﴾[4] وفي آية أخرى: ﴿وَاسْتَعينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخاشِعين﴾[5] فالصبر وسيلة من وسائل تحقيق الغايات، والوصول إلى كمالات. لذا نلاحظ أن أهل المعنى جعلوا الصبر مقاماً من المقامات، وإلى ذلك تشير جملة كبيرة من الآيات ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾[6] أعطيناهم هذه المرتبة التي من أرفع المراتب، وهي مرتبة الإمامة، فمرتبة الإمامة ليست مجرد تشريع وإصدار أمر

---

[3] المطففين: 24
[4] البقرة: 153
[5] البقرة: 45
[6] السجدة: 24

ونهي وهداية تشريعية، مرتبة الإمامة يهدون بأمرنا ﴿إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾[7] هذه الهداية الخاصة، لماذا أعطوا هذا المقام السامي لأنهم ﴿لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُون﴾[8].

وآية أخرى يقول الباري تبارك وتعالى: ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِساب﴾[9] أي لا يوجد حد لمن يتصف بهذا المقام، في ثوابه وأجره.

وفي آية أخرى: ﴿أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا﴾[10] أي يضاعف لهم الأجر بسبب صبرهم. فأجر الصابرين مضاعف، ثم إن جزاءهم فوق كل حساب لا حد له. هذا مقام من المقامات العظيمة.

وفي آية أخرى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا﴾[11] في رواية من الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام: (كَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا ضُرِبْتَ عَلَى قَرْنِكَ وَاخْتَضَبَ شَيْبُكَ بِدَمِكَ وَأَنْتَ فِي مِحْرَابِ صَلَاتِكَ سَاجِداً لِرَبِّكَ فَقَالَ عليه السلام ذَلِكَ مَقَامُ الشُّكْرِ لَا مَقَامُ الصَّبْرِ)[12]. هذه المحادثة بين نبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام لكي نحن نستفيد، لا أن أحدهما يعلم والآخر لا يعلم.

فأمير المؤمنين عليه السلام تخطى إلى من مقام إلى مقام آخر، أن الإنسان يقتل شهيداً في سبيل الله وفي محراب صلاته وهو في كامل عبوديته لربه تبارك وتعالى. ولا شك أن الوصول إلى مقام الشكر لابد أن يمر بمقام الصبر.

فهؤلاء الأبرار النتيجة الثالثة التي أعدت لهم أن الله سبحانه وتعالى ﴿جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا﴾ مكاناً يتناسب معهم، ولباساً يليق بهم، لتبدأ بعد ذلك الآيات بوصف هذا المكان، وخصائص هذا المكان، وخصائص هذا اللباس، وسوف نقف عنده مطولاً.

خلاصة المطلب: أن نتيجة هؤلاء لعملهم الذي قاموا به في هذه الدنيا، وما تحلوا به في هذه الدنيا، أن الله سبحانه وتعالى وقاهم من أي شر وسيئة تقع في يوم القيامة، وبادرهم بما يعطيهم الرضا والسرور

---

[7] يس: 82
[8] السجدة: 24
[9] الزمر: 10
[10] القصص: 54
[11] العراف: 137
[12] النور المبين في قصص الأنبياء و المرسلين (للجزائري)، ص: 351

في الباطن، ويظهر ذلك على وجوههم للناس أجمعين يوم القيامة، وأعطاهم مسكناً يليق بعملهم، ولباساً ينسجم مع حالهم، وكل ذلك بسبب صبرهم.

فالعبرة والدرس الذي نستفيده من هذه الآيات المباركة إلى الآن، أن هؤلاء الأبرار في عملهم وفي سيرهم وفي كدهم، لم يعملوا ما عملوا لأجل هذا الثواب، لأجل جنة لأجل الجنة والحرير، ولأجل المقام والمنصب، بل ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ ولكن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر المحسنين، يكافئهم على عملهم، وإن لم يقوموا بهذا العمل لأجل هذه الأمور، فكانت النتيجة هذه الأمور الثلاثة، أزال عنهم ما يخيفهم ﴿فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ﴾ ورضاهم بما أعد لهم، فاستقر ذلك في قلوبهم فرحاً وسروراً وظهر على ملامح وجوههم، ثم في الاستقرار كان مقرهم هو الجنة، وكان لباسهم هو الحرير.

فغطت هذه الأمور الثلاثة تمام ما يتوقعه الإنسان من ثواب وجزاء، فالإنسان في هذه الدنيا إذا عمل خيراً لشخص تتوقع منه يكف عنه شره، ومنها أن يمنحه نعماً تدخل السرور إلى قلبه.

لكن في الآية هذا السرور ليس لأجل هذه النعم؛ لأن النعم جاءت في الثالثة، وإنما هذا السرور سرور رضاً، أن يكون لنا مقام عند هذا الشخص نرضى به ونسر فيظهر ذلك على وجوههم.

الأمر الثالث الذي يترقبه أنه يترجم ذلك عملياً، يعطي المسكن يعطين ما يحتاج إليه من طعام ولباس.

فجاءت هذه الأمور الثلاثة، وغطت واستوعبت ما يتمناه الإنسان من عمل الخير ولو في هذه الدنيا.

لكن كل ذلك مع كون القياس ما أعد في يوم القيامة وفي الآخرة مع ما يتوقعه الإنسان في هذه الدنيا أن يكون قياساً مع الفارق.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يلحقنا بهؤلاء الأبرار وأن ينيلنا ما نالهم.